أشباح النهار

هل أنت متأكد مما تقول؟

نعم يا سيدي لقد شاهدتهن بأم عيني.

يستلقي على كرسيه وهو غير مصدق لما أخبره به الرجل... كيف لثلاث فتيات يقدن ثلاث سيارات بوسط الحي ويبلغ عنهن ولا يعثر عليهن!... لعله شاهد صبية صغارًا واعتقد أنهن فتيات!

في نهار اليوم التالي كان جالسًا مع أصدقائه الضباط وهو يحدثهم بأمر فتيات الحي...

إنه رجل واهم دون شك، لا تصدق كل من يتقدم ببلاغ هذه الأيام.

كلامك صحيح يا زميل، لو كان كلامه صحيحًا لرآهن غيره.

يقطع حديثهم أحد رجال الشرطة...

سيدي، أمر هام، ثلاث نساء شوهدن يتناولن وجبة الطعام في مطعم بوسط المدينة!

ماذا؟ هيا بنا!

يمضي مسرعًا باتجاه المطعم الذي ارتكبت فيه الجريمة المدوية...

أين هن؟

سيدي لقد كن جالسات على هذه الطاولة!

ولماذا لم تمسكوا بهن؟

لم نستطع يا سيدي، كن يتناولن الطعام ولم يكن بمقدور أي منا أن يقترب منهن.

وأين ذهبن؟

صعدن سيارة قادتها إحداهن وانطلقت بها سريعًا.

يا لك من غبي! لماذا لم تسجل رقم السيارة!

يعود إلى مركز الشرطة... يوبخه رئيس المركز ويأمره بسرعة بإلقاء القبض على الفتيات المشاغبات وإلا فإنه سيتخذ كافة الإجراءات بحق كل عسكري يقصر في أداء واجبه!

يأمر بتسيير دوريات يقودها بنفسه...

سيدي لقد رصدناهن وهن يتناولن فطائر داخل أحد مطاعم الوجبات السريعة!

حسنا يا ويلهن مني!

يذهب إلى المطعم بأقصى سرعة ...

- أين هن؟

- لقد غادرن قبل قليل يا سيدي.

- يا لك من معتوه! ألا تعرف أن تناول النساء والفتيات للطعام داخل مطاعم الوجبات السريعة ممنوع!

- لم أستطع منعهن يا سيدي.

- ماذا أكلن؟

- فطائر البيض والطعمية والكبدة!

- ويلك! كيف جرؤن على فعل ذلك، وكيف كان مظهرهن؟

- رأيتهن مرتديات بنطلونات ضاغطة وبلوزات مختلفة الألوان!

يمسك به وقد اشتد غضبه!

- ألا تعلم أن ما قمن به ممنوع منعًا باتًّا وجريمة يعاقب عليها القانون! لماذا لم تأمرهن بأن لا يدخلن وأن يقفن كغيرهن أمام تلك النافذة التعيسة!

العامل لا يرد جوابًا...

يعود إلى مركز الشرطة وقد أقسم أن لا يرجع إلى منزله إلا وقد ألقى القبض عليهن!

في منتصف النهار التالي كان على موعد مع حادثة مجلجلة!

كان متمركزًا في وسط المدينة وعيونه ومخبروه في كل مكان ...

سيدي الفتيات فعلن أمرًا خطيرًا!

ماذا حدث؟ أقتلن أحدًا؟

لا، لم يقتلن أحدًا، إنهن يلعبن كرة القدم في الملعب الرياضي!

يا للهول! أوصلت بهن الجرأة إلى هذا الحد!

يتجه بالعشرات من سيارات الشرطة إلى الملعب الرياضي، ويأمر بمحاصرته... يدخل وسط الملعب برفقة المخبرين والشرطة...

أين هن؟

سيدي لقد كنا هنا قبل دقائق ولكنهن اختفين فجأة!

يمسك بمدير الملعب من حلقه!

كيف اختفين؟ قل كلامًا يستوعبه العقل!

لا أدري يا سيدي، دعني سأموت خنقًا إن ظللت هكذا طويلا!

يبعد يديه عن حلقه بعد توسلات واستغاثات!

ماذا كن يفعلن بالضبط؟

يلعبن الكرة.

ويلك! ألا تعلم أن هذا ممنوع!

لم نستطع منعهن يا سيدي؟

كيف لم تتمكنوا من منعهن؟

لا أستطيع أن أشرح لك، ولكننا فقدنا القدرة على الاقتراب منهن!

- (بغضب مستطير) سأعرف كيف أجعلك تقرُّ بالحقيقة عوضًا عن هذا الهذيان!

ينشر مخبريه في كل مكان من الملعب على أمل أن يحضرن في المباراة التي ستقام في المساء...

يقف متأهبًا في القاعة المخصصة للمراقبة... يراقب الجمهور بالمنظار الإلكتروني ... فجأة يُشَاهَدن وهن يشجعن الفريق الأبيض!

يا لبشاعة ما يفعلن! يقفن وسط الشبان وشعر رؤوسهن يرفرف كالأعلام يمينًا وشمالًا!

هل وجدتهن؟ (يخاطبه مساعده).

يسلمه المنظار ولكنه لا يرى شيئا!

لم تراهن! يبدو أنك لم تغسل عينيك جيدًا هذا الصباح!

يأخذ منه المنظار فيشاهدهن مجددا!

- أنا أراهن بوضوح تام! إنهن الآن يضحكن بعضهن مع بعض!

يأمر مساعده باستخدام منظار آخر ولكنه لا يرى أي شيء!

- أنت أعمى البصر والبصيرة دون شك!

يخاطبه بغضب ثم يأمر شرطته بالذهاب إلى الموقع المحدد والقبض عليهن...

بعد عدة دقائق يعود شرطي قائلا:

- سيدي لم نرَ أي فتاة في الموقع الذي حددته!

يجن جنونه...

- أنتم جميعًا بلا بصر ولا بصيرة، الويل لكم! سأكتب فيكم تقريرًا ينقلكم إلى الصحاري القاحلة!

يذهب بنفسه إلى المكان، ولكنه لا يرى أحدًا منهن! ما إن يبتعد قليلا حتى يشاهدهن مجددًا!

تخور قواه فيعود إلى مركز الشرطة ليتلقى توبيخًا شديدًا من رئيسه...

إن لم تقبض عليهن فلا فائدة ترجى منك...أفهمت!

ينتابه يأس شديد ... يفقد شهيته لكل شيء إلا من الانتقام منهن!

في وسط نهار اليوم التالي يتلقى مفاجأة أخرى!

- سيدي لقد ارتادت الفتيات المكتبة العامة، إنهن الآن هناك.

- حسنا هذه المرة لن يفلتن من قبضتي!

يـأمر بمحـاصرة مبنـى المكتبـة ثـم يقتحمـه بجنـده المـدججين بالأسلحة...

- أين هن؟

- إنهن هناك يا سيدي.

أخيرًا وقعتن في يدي أيتها المشاكسات!

يقترب منهن إلا أن ضعفًا مفاجئًا ينتابه كلما تقدم باتجاههن...

ألا تعرفن أن دخول الفتيات للمكتبة العامة ممنوع!

لا يجبنه وكأنه لا يتحدث إليهن...

- ما لكن لا تجبن؟

يقفن بهدوء تام ويضعن الكتب في رفوفها ويخـرجن مـن البوابـة الأخرى ببرود...

- أنتن! قفن هنا! آمركن بالوقوف.

يطلب من الشرطة القبض عليهن ...

يحاولون اللحاق بهن ولكن قوة غريبة تشل حركتهم...

في نهاية اليوم يقدم تقريره لرئيسه...

أتريدني أن أصدق أنك وشرطتك لم تتمكنوا من اعتقال ثلاث فتيات لا يمتلكن من أمرهن شيئا! مبرراتك لا يقرها عقل أو منطق، اسمع سأمنحك فرصة أخيرة إن لم تتمكن منهن فأنت تعرف مصيرك.

**

في اليوم التالي يقود مركبته ويأمر بتمشيط بعض مربعات المدينة ...

إن لم أقبض عليهن سأقدم استقالتي، لن أسمح لأحد بأن يتحكم بمصيري!

يتلقى مكالمة...

- سيدي لقد رصدناهن في أحد البنوك!

- يا ويلهن! أوصلت بهن الجرأة أن يتواجدن في مكان مزدحم بالرجال!

يأمر بمحاصرة البنك ثم لا يلبث أن يدخله بشرطته...

أين هن؟

ذهبن يا سيدي!

يجن جنونه فيندفع لتحطيم بعض الأثاث إلى أن تهدأ ثائرته! ثم يخاطب مدير البنك بغضب وازدراء...

هل أنت رجل؟ كيف تأذن لفتيات بأن يدخلن إلى هنا؟ ألا تعرف بأن هذا ممنوع وأن عليهن الذهاب لفرع مخصص للنساء؟ وبعد كل هذا تسمح لهن بالمغادرة!

سيدي لم نقدر على منعهن، لقد ذهلنا جميعا بحيث لم نستطع اتخاذ أي قرار.

وماذا كن يفعلن هنا؟

سحبت كل واحدة منهن مبلغًا من المال.

(بغضب مستطير) يا لسواد نهارك هذا اليوم! أين المستندات المتعلقة بذلك؟

ستكون بين يديك فورًا ولكن أرجوك ألا تغضب!

يذهب مسرعًا ثم يعود بعد عدة دقائق وفي يده مستندات فارغة...

الويل لك! اقبضوا عليه إنه متآمر معهن دون شك!

كلا يا سيدي أنا بريء.

تقدم لي مستندات فارغة وتقول إنك بريء!

يبدو أن بياناتهن لم تحفظ بعد تسجيلها، سنحاسب الموظف الـذي تسبب في ذلك.

يخرج من البنك وقد اشتد غضبه إلا أنه يتلقى اتصالا غريبًا...

ما هذا الرقم الغريب؟ ألو!

أنا إحداهن!

أنتِ، أرجوك تعالي لمركز الشرطة، لن أمسكِ بسوء، أعدك بشرفي العسكري.

إننا الآن في طريقنا نحو الطريق الجبلي، إذا كنـت تريـد التحـدث إلينا فنحن هناك!

يقود مجموعة من سيارات الشرطة التي تتجه نحو الطريق الجـبلي السريع بأقصى سرعة ممكنة...

يرصد الجنود السيارة التي تستقلها الفتيات ويتبعونها بينما يتم تحذيرهن عبر مكبرات الصوت بخطورة ما يقمن به من تحدٍّ للسلطات...

- الويل لكن، إن هذا اليوم لن يمحى من ذاكرتي ما حييت، إن لم ألقِ بكن في السجن لأكثر من عشر سنوات سأنهي خدمتي من دون راتب تقاعدي!

يطاردونهن بالسرعة القصوى، تباغتهم الفتيات بدخولهن طريقًا جبليًّا فرعيًّا ... يعودون من فورهم ليسلكوه ولكنهم لا يرون للسيارة التي تقل الفتيات المطلوبات أي أثر.. يعمدون إلى اقتفاء أثرهن بكل الطرق الممكنة دون جدوى...

أين ذهبن؟ أين اختفين؟ لا يمكن أن يحدث هذا!

يعود إلى رئيسه ويقدم له تقريرًا بالحادثة ...

تعود الأمور إلى ما كانت عليه وكأن شيئًا لم يحدث، يتجول في شوارع مدينته ليتأكد من أن النساء ملتزمات بكل ما هو مفروض عليهن... يشاهدهن وهن يطلبن الفطائر من تلك النافذة الصغيرة

المخصصة لهن! ويتأكد من عدم دخولهن للمطاعم والمرافق العامة! يدقق النظر في السيارات والدراجات ليتيقن من أن النساء ملتزمات بمنعهن من قيادتها! يبتسم ابتسامة المنتصر ـ ويسترخي... لكنه فجأة يراهن يمشين وسط الطريق... ينظر لهن بذهول وهن يضحكن ضحكات أنثوية ماجنة... يخرج من سيارته وينادي عليهن ... ينظرن له بوجوه ماكرة ... يستمر في نداءاته عليهن والناس تنظر له بتعجب، لا يهتم بمن حوله ويستمر في مناداتهن ... يعاودن النظر له بابتسامة ساخرة ترتسم على وجوههن ويرفرفن له بشعورهن المنسدلة إلى صدورهن ثم يختفين عن ناظريه من جديد...